المحاضرة الثالثة عشرة: نظرية انتشار المبتكرات

تمهيد:

نظريّة انتشار المبتكرات (Diffusion of Innovations) هي نظرية اجتماعية تُستخدم لفهم كيفية انتشار وتبني الابتكارات والتكنولوجيا والأفكار داخل مجتمع معين. أسس هذه النظرية الباحث الأمريكي في علم الاجتماع والاتصال إيفريت روجرز (Everett Rogers)، التي نشرها في كتابه عام 1962 والذي حمل نفس الاسم، وقد تم تطويرها وتوسيعها بمرور الوقت. وتركز هذه النظريّة على فهم ديناميات الانتقال من ابتكار المبتكرات إلى الاعتماد الشائع عليها في المجتمع. حيث تعتمد هذه النظريّة على مفهومين رئيسيين هما:

1. **الاعتماد (Dependation)** : ويقصد بها الفرد أو الجهة التي تتسم بالاستعداد لتبني الابتكارات بسرعة، والتي غالبًا ما تكون منفتحة على التكنولوجيا والتغيير، وتتخذ الخطوة الأولى في تجربة الابتكار.

2. **عمليّة الانتشار (Diffusion)** : عملية انتقال الابتكار من المبتكرين الأوائل إلى الفئات اللاحقة. يسمح بفهم كيف يتم نقل الابتكارات وتبنيها بين فئات المجتمع المختلفة. لذا فإن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على عملية انتشار المبتكرات، وتشمل:

- **الميزات الخاصة بالابتكار (Innovation Attributes)** : وتتمثل بشكل أساسي في الفعالية الملموسة، وقابلية التجريب.
- **قنوات الاتصال (Communication Channels)** : ويقصد بها الوسائط التي يتم من خلالها نقل المعلومات حول الابتكار.
- **حجم الجمهور (System Size)** : ويعتبر اتساع حجم الجمهور عاملا هامًا في عملية انتشار المبتكرات.

- **درجة التغير (Degree of Adoption)** : ويتعلق الأمر بالمرحلة التي يتم فيها اعتماد الابتكار من قبل فئة معينة من المستخدمين.

أبر الانتقادات التي وجهت لنظرية انتشار المبتكرات:

على الرغم من أن نظرية انتشار المبتكرات تعتبر واحدة من النظريات البارزة في مجال دراسة انتشار الأفكار والابتكارات في المجتمع، غير أنها وعلى غرار العديد من النظريات في علوم الإعلام والاتصال عرفت بعض الانتقادات والتحفظات نذكر أبرزها:

1. **تبسيط عملية انتشار الأفكار:** يَعتبر بعض الباحثين أن نموذج انتشار المبتكرات يقوم بتبسيط عملية انتشار الأفكار، حيث لا تعكس الحياة الواقعية دائماً عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى بشكل خطي كما يظهر في النظرية.
2. **عدم مراعاة السياق الثقافي:** يعتبر البعض أن النظرية لا تعتني بشكل كافٍ بالسياق الثقافي والاجتماعي الذي تحدث فيه عملية الانتشار. فالاختلافات الثقافية والاجتماعية قد تؤثر بشكل كبير على كيفية تبني الأفكار والتقنيات.
3. **التركيز على دور الأفراد:** يقول بعض الباحثين إن النظرية تركز بشكل كبير على الأفراد وتتجاهل الهياكل الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تؤثر على عملية انتشار الابتكارات.
4. **تجاهل التفاعلات الديناميكية:** يعتبر البعض أن النظرية قد تجاهلت بعض التفاعلات الديناميكية التي تحدث خلال عملية انتشار الابتكار، مما يجعلها غير قادرة على التمثيل الدقيق للعملية.
5. **عدم مراعاة التغيرات السريعة:** تعد النظرية غير كفؤة لأنها تفتقر إلى توفير إطار عام يوضح سبل التعامل مع التحولات الديناميكية والتغيرات السريعة داخل المجتمعات.